## المحاضرة الخامسة بنية الحكاية الدرامية.

تعتبر الحكاية حجر الأساس الذي يبنى عليه العمل المسرحي، لأن المسرحية في مفهومها البسيط هي تلك الحكاية التي تروي عن الناس من حيث الأحداث التي تقع لهم، وموقفهم منها وتفسيرهم لها ومصائرهم فيها [1]، ومن دون حكاية يفقد النص لبه وتماسكه، ويصبح التعبير مجردا خاليا من المعنى والدلالة.

تحدد الحكاية الأحداث وتجعلها تصب في الفكرة وتنميها وتشد من أزرها في زمان ومكان مترابط، لأنها الامتداد الطبيعي والمباشر لبدايات الفكر الإنساني [2]، وهذا بغية التأثير في المتلقي وإقناعه، كما أن الحكاية ترسم أدوار الشخصيات وتعين ملامحهم الجسدية والنفسية وتحدد اتجاههم الاجتماعي والفكري ، وهي بذلك الوضعية الأساسية التي ينطلق منها الفعل، وهي دوافع الشخصيات للوصول إلى الهدف الذي حتمته الحكاية، وهي أيضا مصدر الموضوع الدائرة أحداثه بين تلك الشخصيات.

ليست الحكاية مجرد قص أحداث متجاورة مرصوصة ببعضها بعض دون علاقة منطقية سببية، وليست كذلك مجرد أخبار تقريرية نصية يغلب عليها طابع السرد، وإنما هي حكاية أحداث حسب ترتيبها الزمني وطابعها المكاني بطريقة فنية وجمالية مميزة، تتفا عل فيها الأحداث وتتحرك الشخصيات، وتنمو الموافق في اتجاه منطقي يتجه بالضرورة إلى نهاية منطقية مستمدة من الأحداث نفسها ، إذ تترابط أجزاء الحكاية عبر تسلسل زمني نفهمه من خلال الحوار، هذا العنصر الذي يميز الدراما عن باقي الأجناس الأخرى هو خزان الحكاية والمعبر عنها في زمن الفعل الدرامي، أي أن الزمن يختلف ويتباين ما بين الحكاية والفعل، فالحكاية أحداثها جرت في الماضي ولا بد لها من أسلوب تعبير خاص بها، إما السرد أو المنولوج، وهنا فقط يمكن التمييز بين زمن الحكاية وتسلسله لأحداثها وبين زمن الفعل الملموس.

إن الحكاية المحبوكة دراميا هي التي ترتكز إلى فعل واحد، وتغذيه بأفعال جزئية من شأنها أن تزيد من تركيزه لا أن تساهم في شرود ذهن المتلقي وتفكيره، ومنه يضيع حبل القيادة الذي يوصل إلى الفكرة والحكاية في الدراما متميزة عن ما في سواها فهي ليست بالتاريخية التي تنقل حرفيا بتناغم كرونولوجي محكم، إنها مضبوطة بحيث تعطي لكل مقدمة نتيجة ولكل شيء مسبباته [3]، إنها تتميز بوحدة وواقعية المضمون.

ومنه، لابد للفعل في الحكاية أن يكون واحدا، فهو ليس مجرد مجموع أحداث جزئية متتابعة يجملها شخص واحد، إذ لا يمكن للمرء الواحد أن ينفرد بأداء وظيفة معينة لا تمت بصلة بهذا الكل، فالشخصية البطلة قد تقوم بأفعال متسلسلة ذات مواقف متباينة لكنها غير مترابطة تحت منطق السببية، حيث لا بد أن ترتبط الأسباب بالمسببات و تؤدي المقدمة إلى نتيجة [4]، وعلى الحكاية في المسرحية أن تتميز عن الحكاية النمطية التي تروى في الحياة العادية، وأن يختلف كل الاختلاف عن الحكاية التاريخية التي تتقيد بالواقع وتقرر الحقائق تحت ترتيب زمني دقيق دون إبداع أو خيال فكري ، بحيث لا تتجاوز في ذلك الحكاية الساذجة التي لا يتقبلها العقل كحكايات القوى الغيبية والخرافة الزائدة عن المألوف دون الالتزام بضوابط الفن ومنطق الأحداث وواقعية المضمون ووحدة الحكاية [5]، لأن الفعل الدرامي ينقسم إلى أجزاء متسلسلة ومترابطة وفق الضرورة المنطقية دراميا، هي البداية والوسط والنهاية، ولابد للحكاية أن تتبع ذلك التقسيم والتسلسل المنطقي لأجزائها وتسير جنبا إلى جب وفق زمن الفعل وأحداثه، حتى تكون مقنعة للمتلقي عند معايشته للفعل الدرامي، وحتى لا يهيم بين ثنايا الحكاية وأحداثها باحثا عن أجزائها فيبتعد عن الاندماج الوجداني للأحداث.

الحكاية في المسرحية ليست إلا وسيلة للموضوع، ووعاءا للفكرة، والاهتمام المفرط بها يجعلها غاية في التسلية لا وسيلة لتبليغ رسالة نبيلة، لذلك دعا بريخت إلى تكسير هذه الوحدة وتسلسلها مما يجعلها تفقد

تنمية إيهام المتلقي، لكن هذه الأغلوطة في أن بريخت كان ينادي بتحطيم تسلسل الحكاية، بدليل أن كل مسرحياته ذات حكاية محكمة السرد القصصي، لأن المسرحية أول ما تقوم عليه هو الإمتاع القصصي، ولأن الحكاية فيها مقصودة لذاتها قبل أن تكون وسيلة لأهدافها[6].

---

[1]- عبد الفتاح عثمان، بناء الرواية، م س، ص43.

[2]- أحمد صقر، توظيف التراث الشعبي في المسرح العربي، م س، ص105.

3- ستيوارت كريفش، ستيوارت كريفش، صناعة المسرحية، م س، ص 29.

[4]-ينظر، ستيوارت كريفش، ستيوارت كريفش، صناعة المسرحية، م س، ص29.

[5]- ينظر، عبد الفتاح عثمان، بناء الرواية،م س،ص44.

[6]- ينظر، فرحان بلبل، النص المسرحي، الكلمة و الفعل، م س، ص40.